بيئة البلدات القديمة في فلسطين

بين التقييم و التطوير

د. غسان جودة الدويك/ دكتوراة هندسة معمارية
مدرس في جامعة بوليتكنك فلسطين
الخليل/ الضفة الغربية- فلسطين
بريد الكتروني: ghassan@ppu.edu

م. سماح جواد الجعبري/ ماجستير هندسة مياه و بيئة
مدرسة في جامعة بوليتكنك فلسطين
الخليل/ الضفة الغربية- فلسطين
بريد الكتروني: samahj@ppu.edu

الملخص

تعتبر البلدة القديمة (المركز التاريخي) في أي مدينة من مدن العالم معلما بارزا من ناحية تاريخية, أثرية, ثقافية و دينية, كما تعتبر منارة تحاكي عراقة و حكمة الأجداد. وحيث أن مدننا الفلسطينية تمتاز بوجود مراكز تاريخية بها فإنه جدير بنا القيام بتقييم وضعها البيئي لما في التقييم البيئي من استجابة و تماشي مع التنمية المستدامة و لما يقدمه لنا من صورة واضحة و تحليل منطقي لأعمدة التنمية المستدامة البيئية و الاجتماعية و الاقتصادية.

إننا نرى كباحثين ضرورة أن يتوفر هذا النوع من الدراسة و التحليل لكل البلدات القديمة الفلسطينية ليتسنى لنا السير و المضي قدما نحو تنمية وطنية مستدامة، يتم فيها تصميم و تنفيذ جميع المشاريع في إطار تنموي سليم. تأتي أهمية البلدات القديمة لما تلقاه من اهتمام وطني و دولي و لما تعكسه هذه البلدات من ثقافة و تاريخ و لقدرتها على إعادة الثقة في تاريخنا و حضارتنا و بالتالي المحافظة على هويتنا و مجوداتنا التراثية التي خلفها لنا الآباء والأجداد و عليه فإنه من الضروري رفع الوعي البيئي في تلك البلدات و ذلك للمحافظة على هذا الموروث النفيس و الرقي به و إبرازه و السعي لجعله معلما يفتخر به.

إن أهم مبررات هذه الدراسة هي :

١. الحالة السيئة التي آلت إليها البلدة القديمة نتيجة هجرة معظم سكانها الأصليين جراء الوضع السياسي الحالي
٢. انعدام الحياة البشرية والتواجد السكاني إلى حد كبير
٣. سوء وضع البنية التحتية
٤. استخدام المباني القديمة الخالية كبؤر للفساد الاجتماعي والأخلاقي

إن القيام بهذه الدراسة يتطلب منا بداية المحافظة على ما هو موجود في البلدات القديمة ثم الانتقال إلى تقييم و إعادة تأهيل البنية التحتية من خدمات مدنية, صحية, اجتماعية, ثقافية و ما يلزم ذلك من سياسات و استراتيجيات تتماشى و الأهداف الوطنية السامية. إن رفع الوعي البيئي هدف تسعى له جميع الشعوب المتحضرة للوصول إلى تنمية مستدامة ولا يتحقق ذلك إلا بتعاون دؤوب و جهد متواصل من جميع أفراد المجتمع.

في هذه الورقة سيتم بحث و دراسة تقييميه للوضع البيئي في البلدة القديمة لمدينة الخليل كحالة تنطبق عليها معظم البلدات القديمة في باقي المدن الفلسطينية. سيكون ذلك مدعما بصور و حقائق و بتحاليل و أساليب منطقية,

كما سيتم الإشارة و بتركيز على ضرورة رفع و تطوير الوعي البيئي في مجتمع البلدة القديمة و ما سيعود به ذلك على البلدة من فائدة و تنمية و رقي.

١- خلفية عامة

الخليل "مدينه أربع" لها تاريخ عريق ومكانه فريدة حددتها أصالة هذه المدينة وقدسيتها, فهي من أقدس مدن العالم ومن أقدمها ، حيث تعني أسماؤها التي أطلقت عليها عبر تاريخها العريق القوة والوحدة والصداقة والديانة ويأخذ موقعها في قلوب المؤمنين موقعا مقدسا للجميع ، وهي مدينة مرتفعه على جبال عده ، فمنذ خمسة آلاف عام تشكلت نواه هذه المدينة الكنعانية ، حيث اختاروا موقع الخليل ودعوها "أربع" وخضعت عبر الأزمان لعدد كبير من الأمم والدول ، الذين ما زال على كل شبر من أرضها وعلى كل حجر من مبانيها شاهداً على حضارتهم .

بالرغم مما جرى لها في الفترة الأخيرة من احتلال اسرائيلي محاولاً تغيير واقعها وطمس معالمها وآثارها وتراثها وعمارتها وحضارتها . وإن من يهتم بالخليل وبتاريخها والأمم والحضارات التي درجت على ثراها من أقدم العصور ، لابد له من التعرف على كنوز هذه المدينة وما تحتويه من شواهد ومعالم يستدل بها الإنسان على حضارة هذه المدينة ، فإذا تم لنا التعرف على هذا الواقع فقد فهمنا الماضي وأشرفنا على المستقبل ، حيث أن أهم هدف هو إبقاء مدينة الخليل القديمة في الذاكرة ، وإن الحفاظ على ما فيها ومن فيها من أولويات الأبحاث ، ولتحقيق ذلك جاءت هذه الدراسة الميدانية في أغلب فصولها تجمع بين الجوانب البيئية المختلفة ومحاولة إيجاد الحلول والإجراءات العملية من أجل النهوض بهذه المدينة من الناحية البيئية والاجتماعية والاقتصادية من جديد .

٢- الموقع و التسمية

تقع البلدة القديمة في الجزء الجنوبي من مدينة الخليل كما هو موضح في صورة (١) بمساحة تقدر ب 493317 م^{2} و عدد سكان يبلغ ٤٠٠٠٠ نسمة , تضم البلدة القديمة عدد من الحارات القديمة حيث تعتبر الحارة نواة العائلات التي يتكون منها مجتمع مدينة الخليل و هي حارة الشيخ, حارة الجعبري, حارة السواكنه, حارة القزازين, حارة ابو سنينه, حارة بني دار, حارة السهله , حارة قيطون, حارة المحتسبية و حارة المشارقة, تنوعت اصول سكان هذه الحارات من اصول اسلامية, عربية , كردية, مغربية و تركية. صورة (٢) توضح حارات البلدة القديمة.

تعتبر البلدة القديمة النقطة الاهبط في المدينة حيث ان منسوب اهبط نقطة فيها (قيطون) يبلغ ٧٥٠م فوق سطح البحر.

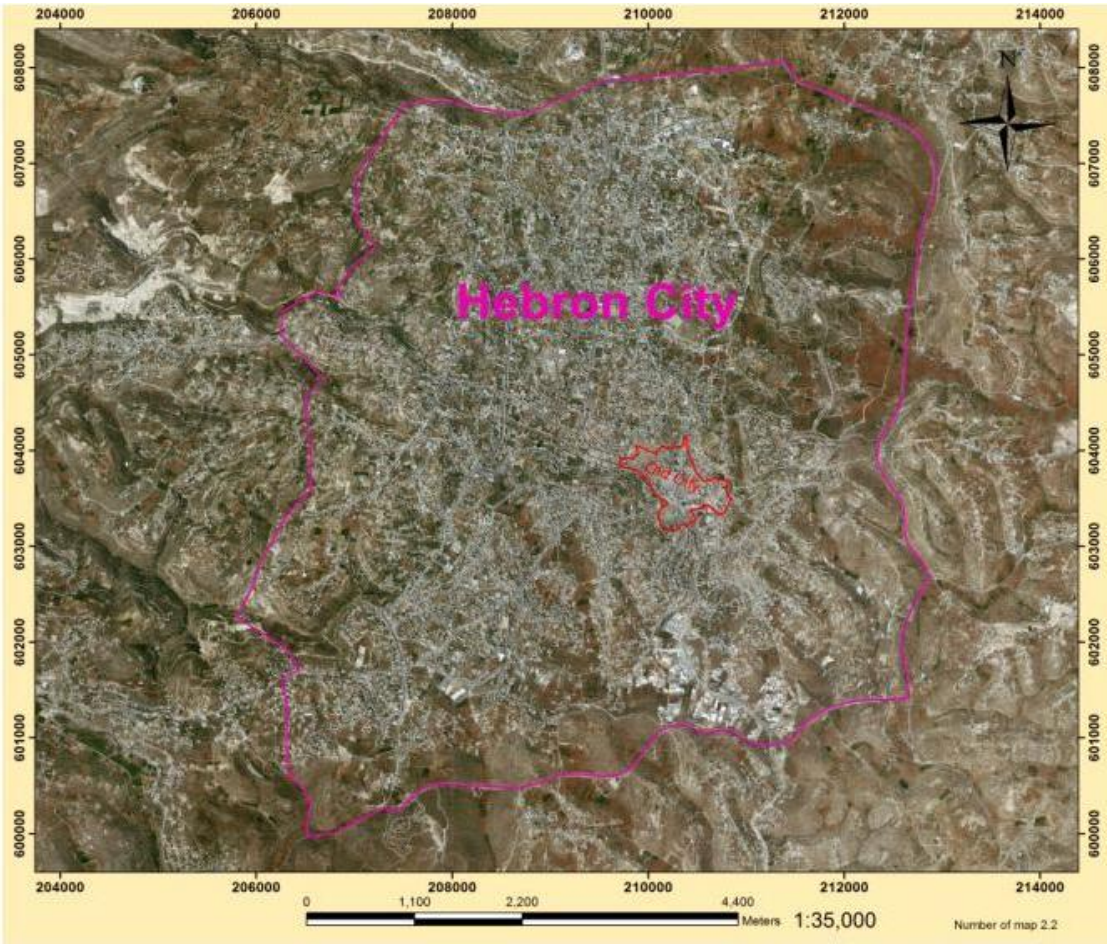

صورة (١) موقع البلدة القديمة بالنسبة لمدينة الخليل

صورة (٢) حارات البلدة القديمة

تمتلك البلدة القديمة في الخليل قيمة دينية و تاريخية كبيرة و ذلك لوقوع الاماكن الدينية و التاريخية بها مثل الحرم البراهيمي الذي اكسب المدينه اسمها نسبة الى ابراهيم الخليل و كذلك وقوع التكية الابراهيمية و بركة السلطان و جميعم من عصور تاريخية مختلفة.

يضم المسجد الابراهيمي مقامات و اضرحة لابو الانبياء و زوجاته و ابناؤه و هذا ما اكسب المنطقة طابع ديني و تاريخي ذو قيمة عالية, صورة رقم (٣) تبين توسط الحرم الابراهيمي الشريف للبلدة القديمة في مدينة الخليل.

صورة رقم (٣) موقع الحرم الابراهيمي بالنسبة للبلدة القديمة

لقد اكتسبت البلدة القديمة اهمية كبيرة بالاعتماد على عوامل ثلاث: أولا قربها و التصاقها بالحرم الابراهيمي الشريف, ثانيا وقوعها في جبل الخليل الذي يعتبر مقر خيرات حيث ان المدينة تتمتع بوجود عيون و ينابيع عذبة جعلتها غنية باشجار الزيتون و الكرم و الفاكهة, ثالثا اشراف تل الرميدة على البلدة القديمة حيث يعتبر تل الرميدة الموقع الكنعاني الاول للمدينة.

٣- الوضع الحالي للبلدة القديمة:

لقد كانت البلدة القديمة في مدينة الخليل حتى السبعينات من القرن الماضي محافظة على قيمها المعمارية و العمرانية في تحقيق الانسجام بين مكوناتها حسب متطلبات البيئة, التراث و المناخ, مما ترك أثرا مميزا على النسيج العمراني و على العمارة الفلسطينية العربية الاسلامية, مما يترجم العلاقة التبادلية بين الانسان و بيئته و يبين مدى الارتباط بين الانسان الفلسطيني و تراثه و تقاليدة و ثقافته, و قد كان الوضع

العام و النظام الاقتصادي و الاجتماعي و كذلك السكن في ذلك الوقت لا يزالان صالحين في الاجابة على متطلبات السكان و الاحتياجات الحياتية المختلفة بشكل حافظ على التوازن بين الشكل و المحتوى.
الا أن البلدة القديمة وجدت نفسها و بشكل مفاجئ أمام مشاكل من نوع جديد طرحتها ضرورات العصر الحديث لم تكن تهيأت لها من قبل ،و لم تكن بنيتها التحتية و لا تكوينها العمراني على استعداد للتأقلم مع تلك المعطيات الجديدة.

هذا بالاضافة الى العديد من المشاكل البيئية, الاجتماعية و الاقتصادية التي أثرت بشكل مباشر على معظم مباني هذه المدينة وكانت النتيجة تشويه ملامح البلدة القديمة من جميع النواحي. وفيما يلي تحليل للوضع البيئي, الاجتماعي و الاقتصادي للبلدة القديمة :

٣.١ تحليل الوضع البيئي:

يعتبر تحليل الوضع البيئي عملية منظمة لكشف الآثار البيئية الايجابية و السلبية , المباشرة و غير المباشرة, الآنية و المستقبلية من أجل تفادي الأثار الضارة و تعزيز الاثار الايجابية, إضافة للسعي قدما نحو تحقيق تنمية مستدامة بما يتوافق مع المقاييس البيئية الفلسطينية.

يمكن تحليل و فهم الوضع البيئي للبلدة القديمة من خلال دراسة الجوانب التالية:

٣.١.١ البنية التحتية

تعرف البنية التحتية لاي مدينة بأنها جميع المنشآت و الأنظمة الهندسية التي تؤمن لساكني المكان الحياة المدنية الحضرية بحيث يتمكن هؤلاء السكان من ممارسة مختلف النشاطات اليومية بسهوله و يسر و دون مشاكل و عقبات و تضم البنية التحتية شبكات تزويد المياه, شبكات تصريف المياه العادمه و مياه الأمطار, شبكات الكهرباء, شبكات الاتصالات, شبكا الطرق, الجسور و الأنفاق, آليات التخلص من النفايات الصلبه, المدارس, الحدائق و جميع المنشآت الأخرى.

مما لا شك فيه ان البلده القديمة في اي مكان هي نواة ذلك المكان و فيها تتشكل بداية الحياة و انطلاقة المجتمع لذلك نلاحظ ان البلدات القديمة تعاني من نقص حاد في الامكانيات المتعلقة بالبنية التحتية و ذلك يعود لبساطة الحياة القديمة و خلوها من التكنولوجيا و اعتمادها بشكل كلي على كل ما هو طبيعي اضف الى ذلك قلة عدد السكان اذا ما قورن باعداد السكان الحالية.
ان هذا الضعف في جانب البنية التحتية في البلدة القديمة يحتم على الباحثين ضرورة تقييم ما هو قائم حاليا من بنية تحتية و اتخاذ قرار في ترميم او إعادة بناء و ذلك لتحقيق هدفين في غاية الاهمية و هما:

١- المحافظة على البلدة القديمة بعتبارها مكان ذو قيمة تاريخية و دينية و موروث لعدد كبير من الحضارات
٢ – تقديم خدمات مناسبه لساكني البلدة القديمة و ذلك لتشجيعهم على الاستقرار في هذا المكان الهام و استمرار التواجد فيه.

و في هذا المجال سيتم عمل دراسة تحليلية و تقييمية لكل من شبكات تصريف المياه العادمة و مياه الامطار, شبكات الطرق و آليات التخلص من النفايات الصلبة في البلدة القديمة اما فيما يتعلق بشبكات تزويد المياه و شبكات الكهرباء و الاتصالات فسيتم التطرق لها بشكل سطحي و ذلك لكونها شبكات جديدة و تعتبر في حالة جيدة جدا, و هذا ما سيتم الحديث عنه في الفقرات التالية:

أولا : شبكات تصريف المياه العامة و مياه الامطار

تعتبر شبكات تصريف المياه العادمة و مياه الامطار الاهم في البنية التحتية و ذلك لانها تعمل على تخليص المكان من ملوث خطير على الصحة العامة و على المياه الجوفية و على التربة و جميع هذه العناصر على درجة كبيرة من الاهمية.

تشمل المياه العادمة المياه السوداء و المياه الرمادية الخارجة من الاماكن السكنية و التجمعات التجارية اما مياه الامطار فتشمل المياه المتجمعة في الشوارع أثناء و بعد حادثة الهطول.

ان الالية المتبعة في تصريف هذه المياه تعمل باختيار واحد من نظامين, النظام الاول و هو النظام الفردي الذي يتم به تصريف المياه العادمة في شبكة و تصريف مياه الأمطار في شبكة أخرى, اما النظام الثاني فهو النظام المشترك حيث يتم تصريف المياه العادمة و مياه الامطار في نفس الشبكة.

تعتمد البلدة القديمة في مدينة الخليل في عملية تصريف المياه العادمة و مياه الامطار على شبكة مشتركة لتصريف كلا النوعين من المياه في نفس الشبكة و نفس الانابيب, حيث يوجد قنوات رومانية تشكل شبكة الصرف صحي و شبكة تصريف مياه أمطار تحت الارض منذ القدم و هذه القنوات تشكل انابيب ذات مقطع بيضاوي قطره الأكبر يصل الى ٢ م و هذه الشبكة قديمة جدا يتجاوز عمرها مئات السنين.

قامت لجنة اعمار الخليل و بالتعاون مع بلدية الخليل بصيانة هذه الشبكة و ترميمها واضافة اجزاء حديثة على نمطها وذلك للحفاظ على الطابع الاثري والتراثي لها .

بعد الزيارات الميدانية و الدراسات التحليلية المعتمدة على خرائط و صور حقيقية و ارقام احصائية لا بد من التعرض للنقاش التالي:

ان البلدة القديمة في مدينة الخليل تقع في الجزء الجنوبي من المدينة و تعتبر الاهبط من ناحية مناسيب و ارتفاعات عن سطح البحر و هذا ما توضحه الصورة (٤) و بعد مراجعة بلدية الخليل اتضح ان الشبكة التي تقوم بتصريف المياه العادمة و مياه الامطار لكامل المدينة هي شبكة مشتركة تعتمد نظام الجاذبية و تتصل بشبكة البلدة القديمة و هذا يعني ان جيع المياه العادم المجمعة من كامل المدينة اضافة الى مياه الامطار في فصل الشتاء تمر و احيانا تستقر في البلدة القديمة و هذا يشكل مشكله بالغة الخطورة على البلدة القديمة في فصل الشتاء تحديدا و هذا ما توضحه الصور (٥) (٦)

لقد تم عمل عدد من الحسابات الهندسية لتقدير كمية المياه العادمة الخارجه من كامل المدينة و من البلدة القديمة كما تم عمل حسابات لتقدير كمية الامطار في اسوأ ظرف ممكن ان يمر على المدينة بالاعتماد على اكبر عاصفة مرت في ١٠ سنوات سابقة و قد تبين من هذه الحسابات ما يلي:

ان كمية المياه العادمة من كامل المدينة اضافة الى كمية المياه العادمة من البلدة القديمة يمكن تصريفها في المقطع الروماني خلال فصل الصيف دون مشاكل و دون فيضان و بكفاءة عالية حيث ان قطر ٢ م قادر على تصريف هذه الكمية, أما في فصل الشتاء فإن هذه الكميات سيضاف لها كمية الامطار الجارية على الطريق و المتدفقة من اعلى نقطة في المدينة شمالا و هي رأس الجورة و حتى اهبط نقطة جنوبا و هي البلدة القديمة و هذه الكمية

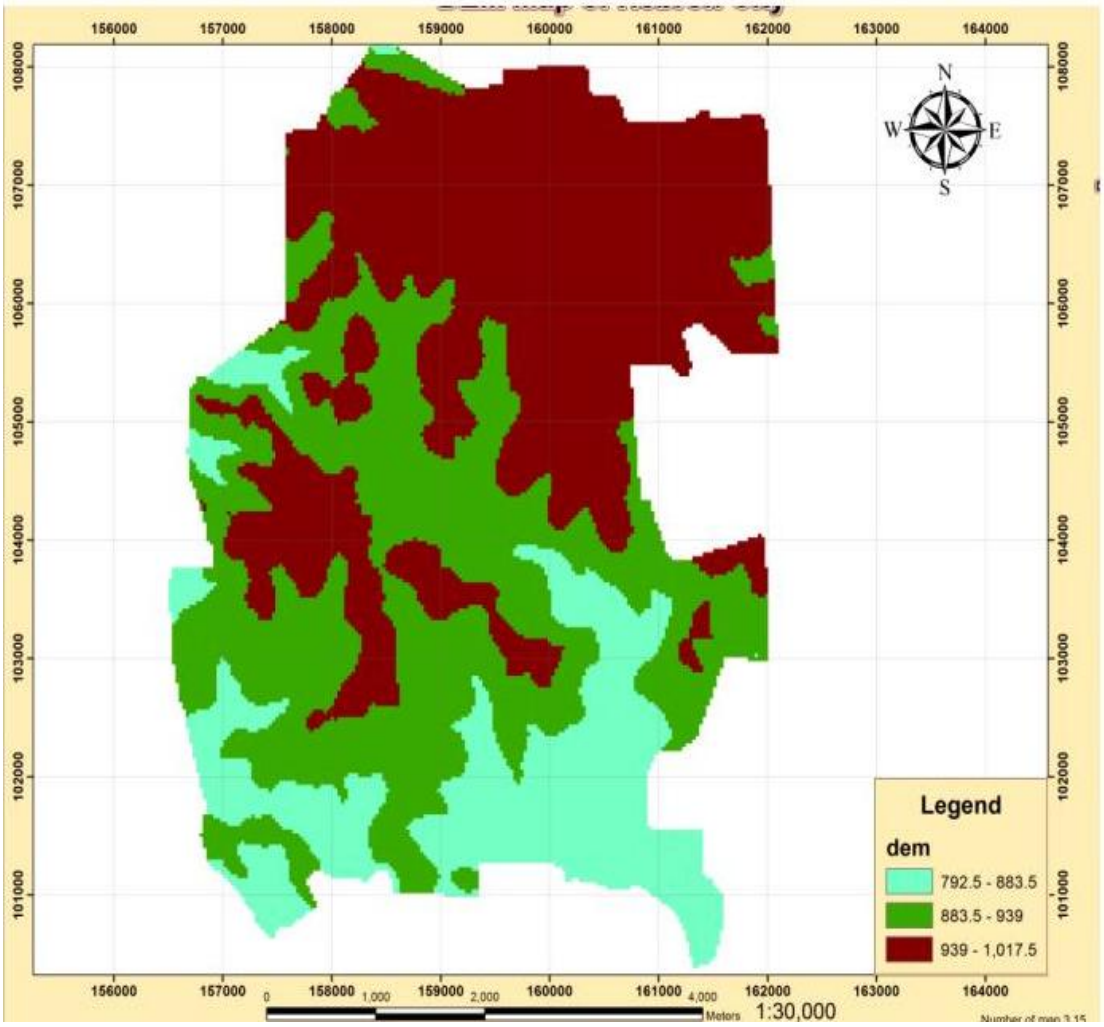

صورة(٤) مناسيب البلدة القديمة بالنسبة لمدينة الخليل

صورة (٥) وضع المياه المتدفقة ايام فصل الشتاء في البلدة القديمة

صورة (٦) وضع المياه المتجمعة في البلد القديمة ايام الشتاء

تتجاوز قدرة القناة الرومانية و بالتالي يحدث فيضان في الشبكة و تخرج المياه من المناهل لتملأ شوارع البلدة القديمة.

ان هذه المياه الخارجه من الشبكة هي خليط من مياه عادم و مياه امطار و هذا يفاقم المشكله اذ يعرض البلدة القديمة لمكرهة صحية بالغة الخطورة .

اضف الى ذلك ان مناهل و مداخل الشبكة في البلدة القديمة مغلقة بشكل تام اي انها لا تقوم بالتصريف الآني من شوارع البلدة نفسها و هذا يعود لسوء استخدام هذه العناصر في الشبكة من قبل المواطنين و لاهمال البلدية بفحص هذه العناصر قبل بدء فصل الشتاء. صورة (٧) (٨) توضح وضع المناهل و المداخل في الشبكة.

صورة رقم (٧): وضع المداخل

صورة رقم (٨): وضع المناهل

تزداد المشكلة سوءا بوجود البوابه الحديدية التي تفصل بين السكان الفلسطينيين و المستوطنين الاسرائيليين ف البلدة القيمة حيث تحجز هذه البوابة المياه و تمنعها من التدفق للوصول لاي نقطة بعيدة عن البلدة القديمة . صورة (٩) توضح حجز البوابه للمياه.

صورة (٩) البوابة الحديدية في البلدة القديمة

ان هذه المشاكل في شبكات التصريف تهدد سكان و منشآت البلدة القديمة حيث يتمثل ذا التهديد بما يلي:

١- انتشار الامراض بسبب تلوث البلدة بالمياه العادمة الفائضة من الشبكة.

٢- منع السكان من ممارسة حياتهم الاعتيادية وذلك بعدم خروجهم من المنازل.

٣- اغلاق المحال التجارية.

٤- عدم قدرة السائحين الوصول للبلدة القديمة.

٥- انهيار اساسات و جدران المنشآت من بيوت, محال تجارية.

٦- تدمير شبكة الطرق في البلدة القديمة.

ثانيا: شبكات الطرق

تحوي البلدة القديمة اكثر من نموذج للطرق منها الاقدم و هو النموذج الحجري حيث تكون الطريق منشأة من قطع حجرية بأحجام كبيرة متراصة بجانب بعضها البعض, النموذج الاسفلتي حيث ترصف الطريق بطبقة من الخلطة الاسفلتية و هو نموذج محدث و مجدد على البلدة القديمة و النموذج الاخير و هو نموذج القطع الفخارية ذات الاحجام الصغيرة و هو نموذج للشوراع الفرعية التي لا يوجد عليها حمل كبير و هو ايضا نموذج جديد.

تعاني بعض الشوارع من مشاكل تتمثل في انهيارات جزئية, حفر, شقوق و شروخ و هي بحاجة لاعادة تصميم و بناء.كما تعاني شوارع البلدة القديمو من مشكلة في الميول التصميمية حيث انها غير قادرة على تصريف المياه من خلال ميولها الهندسية.

ثالثا: شبكات تزويد المياه و شبكات الكهرباء و شبكات الاتصالات

ان الاساليب التكنولوجية في تزويد و توزيع المياه و ايصالها للميتخدم هي تكنولوجيا حديثة نسبيا و لم تكن معتمدة في البلدات القديمة لذلك فإن سبكة تزويد المياه التي قامت بلدية الخليل بتصميمها و تنفسذها للبلدة القديمة هي شبكة جيدة جدا و لا تعاني من مشاكل و تزود السكان باحتياج يومي يقدر ب ٦٥ لتر للشخص في اليوم .صور (١٠) توضح جزء من شبكة المياه

اما فيما يتعلق في شبكة الكهرباء و شبكة الاتصالات فهما ايضا شبكتان جديدتان وتزودان المستخدمين في البلدة القديمة بخدمة جيدة و بالتالي تقيم هذه الشبكات بأنها جيدة و لا داعي لاعادة تصميمها او بناءها.

صورة (١٠) شبكة تزويد المياه في البلدة القديمة

رابعا: آليات التخلص من النفايات الصلبة:

تشمل النفايات الصلبة نفايات المنازل, المحال التجارية, النفايات العشوائية التي يلقيها المارة في الاسواق والازقة و الشارع . يقوم اهالي البلدة القديمة بوضع النفايات في أكياس بلاستيكية أو في أوعية منزلية تم الاستغناء عنها مثل أوعية دهانات فارغة أو في حاويات خاصة موزعة بالشوارع قامت بتوزيعها عليهم لجنة اعمار الخليل كما هو موضح في صورة رقم (١١) , (١٢) ومن ثم يقوم عمال النظافة بتجميعها في عربات خاصة و من ثم ايصالها الى حاويات كبيرة موزعة في مناطق مركزية مثل منطقة لجنة الاعمار او منطقة الاكاديمية الاسبانية , او أي منطقة مركزية تستطيع ان تصلها سيارات بلدية الخليل.

صورة رقم (١١) النفايات الصلبة في البلدة القديمة

صورة رقم (١٢) النفايات الصلبة في البلدة القديمة

و لكن بعد القيام بعدة جولات ميدانية في البلدة القديمة تبين لنا أن عددا كبيرا من سكان البلدة يقومون بالقاء النفايات بشكل عشوائي في الممرات و الشوارع و الازقة و في البيوت المهجورة و أحيانا في الطابق السفلي للبيت الذي يقطنونه (أو ما يسمى بالياخور) و هذا ما توضح الصورة رقم (١٣) .

صورة رقم (١٣) التخلص العشوائي من النفايات الصلبة في البلدة القديمة

إن هذه السلوكيات الخالية تماما من الوعي و الثقافة تجعل بيئة البلدة القديمة في تدهور و اضمحلال حيث تتكاثر الحشرات و القوارض و القطط و الحيوانات الضارة, كما تتكاثف الروائح الكريهة و تتشوه المناظر الجمالية للبلدة القديمة.

كما تم ملاحظة ضعف اهتمام عمال النظافة في المنطقة بعد الحرم الابراهيمي ,عنه قبل الحرم بحجة تواجد جنود الاحتلال حيث ان الحاويات في تلك المنطقة تحتاج في تفريغها من اسابيع الى اشهر.

لقد قامت لجنة الاعمار بتوزيع براميل نفايات على شوارع الحارات ولكن لوحظ بعد فترة اختفائها فقد تم سرقتها من قبل ساكني البلدة كم تم وضع بعض الحاويات الحجرية ذات المظهر التراثي بشكل منظم على الشوارع لتعزيز المنظر التراثي للبلدة كما هو موضح في صورة (١٤)

صورة (١٤) الحاويات الحجرية و البراميل البلاستيكية

٣.١.٢ الهواء

إن عدم وجود سيارات او أي نوع من وسائل المواصلات كذلك عدم وجود صناعات كبيرة في البلدة القديمة يجعل الباحث في هذا المجال يتصور أن البلدة القديمة تخلو من تلوث الهواء! إلا أنه و بعد البحث في هذا المجال تبين ان البلدة القديمة تتزايد بها اسباب تلوث الهواء لتراكم النفايات التي تسبب مشاكل بيئية و صحية لسكان البلدة و توضح البنود التالية أهم أسباب تلوث الهواء :

١- **طبيعة المبنى و تصميمه :** تتميز بيوت البلدة القديمة بقلة عدد النوافذ وصغر مساحتها وعدم ارتفاع المباني حيث لا تدخل الشمس الى البيوت عبر النوافذ بسبب انخفاضها وصغر مساحتها, كما تتواجد في البيوت القديمة نوافذ صغيرة على ارتفاعات كبيرة تسمح بخروج الهواء الفاسد من المبنى الا ان ساكني هذه البيوت قاموا باغلاقها بقطع من القماش جهلا منهم بوظيفتها و اهمية عملها, هذه العوامل مجتمعة تسبب الرطوبة التي تؤدي الى الاصابة بالأمراض الصدرية التي يعاني منها اغلب سكان البلدة القديمة. صورة رقم (١٥), (١٦)

٢- **حرق النفايات :** يقوم سكان البلدة القديمة بحرق النفايات بشكل مباشر في ازقة الشوارع و الممرات وفي كثير من البيوت المهجورة مما يؤدي الى تصاعد الدخان والغازات الضارة التي تؤدي الى مشاكل صحية كثيرة. صورة رقم (١٧)

٣- **تربية الحيوانات :** يقوم سكان البلدة القديمة بتربية الحيوانات في الطوابق السفلية من بيوتهم (او ما يعرف باليواخير) أو في بيوت غير مسكونة مجاورة لبيوتهم مسببين بذلك تلوث الهواء بسبب الروائح الكريهة و البواعث الخارجة من الحيوانات و تعتبر هذه القضية مشكلة بيئية و اجتماعية حيث نشأت الكثير من الخلافات بين سكان البلدة فيما بينهم بسبب تربية الحيوانات. الصور رقم (١٨)

٤- **الغطاء النباتي :** ان المتجول في البلدة القديمة يلاحظ خلوها تقريبا من المساحات الخضراء عدا نسبة قليلة من الاراضي التي تظهر بها بعض الاشجار المعمرة او اشجار الزينة و لكن بنسب ضئيلة, حيث تتواجد الاراضي جرداء الا من بعض الاعشاب و النباتات التي قد تنمو بشكل بري وهذا ما يزيد الوضع البيئي سوءا. صورة رقم (١٩)

صورة رقم (١٥)

صورة رقم (١٦)

صورة رقم (١٧)

صورة رقم (١٨)

صورة رقم (١٩)

٢.٣. تحليل الوضع الاجتماعي:

إن البلدة القديمة في وضعها الحالي تحتضن ما يزيد عن ٩٣٠ اسرة جديدة دخيلة على البلدة و معظمهم من الطبقة الفقيرة و في كثير من الاحيان من الطبقة المعدمة اقتصاديا, و السبب وراء لجوئهم للبلدة يكمن وراء السكن المجاني و الخدمات المجانية و شبه المجانية من ماء و كهراء و علاج و دعم غذائي مستمر.

أولا: التعليم

مستوى التعليم في البلدة القديمة متدني جدا, معظم الطلاب يتركون الدراسة في وقت مبكر بحثا عن العمل، لان وضع ذويهم المادي لا يسمح لهم بالاستمرار في الدراسة, أما الفتيات فيتزوجن في وقت مبكر بدءا من سن الخامسة عشر, كما تبرزفي البلدة القديمة مشكلة التسرب من المدارس وهي ظاهرة شائعة تشاهد بوضوح بالبلدة حيث يلاحظ الباحث هذه الظاهرة من متابعته لأسوار المدارس و من خلال الحديث مع بعض المتسربين في الشوارع , كما يظهر في الصورة (٢٣, ٢٤). كما أن قانون التعليم الإلزامي غير مطبق بحيث يجبر الطالب إلى الحضور لمدرسته في حال تكرار تغيبه.

صورة (٢٣): التسرب من المدارس في البلدة القديمة

صورة (٢٤): الاطفال المتسربين من المدارس

أضف إلى ذلك أن زواج الفتيات في وقت مبكر يؤثر و بشكل مباشر على الوضع التعليمي في البلدة القديمة، فالأم غير المتعلمة والفاقدة لأي نوع من الثقافة لا تستطيع إعطاء أولادها في المستقبل أي شئ (لأن فاقد الشئ لا يعطيه).

ثانيا: تفشي المخدرات بين الشباب

بسبب تسرب المراهقين من المدارس و بسبب عدم وجود فرص عمل للشباب بالاضافة للجهل وقلة الوعي لدى هذه الفئات العمرية , أضف الى ذلك سوء معاملة الاهل لابنائهم بسبب الاوضاع المادية الصعبة فضلا عن طبيعة بناء البلدة القديمة حيث الازقة والبيوت المهجورة , وعدم تواجد قوات الامن في البلدة ,هذه الأسباب مجتمعة جعلت من البلدة القديمة بيئة خصبة تتفشى فيها المخدرات.

ثالثا: التفكك الاسري, عمالة الاطفال, حالات الاغتصاب

عدم توفر فرص عمل لرب الاسرة و عجزه عن سد حاجات اسرته يولد مشاكل و خلافات بين افراد الاسرة و احيانا تصل الامور لحالات العنف و الضرب, و هذا يولد تفكك اسري و تتوالى المشاكل لتصل للأبناء و تكون على شكل لجوء الابناء المتسربين من المدارس للعمل في اعمال بسيطة مثل العتالة و العمل في مصانع كعمال بأجور زهيدة جدا و تتفاقم المشكلة الى حد الاستغلال الجنسي. لقد وقع في البلدة القديمة أكثر من حالة اغتصاب لفتيان و فتيات على حد سواء , لا شك ان طبيعة البلدة القديمة و ما بها من أزقة و قناطر و بيوت مهجورة تساعد على ذلك.

جميع ما ذكر يجعل الوضع الاجتماعي في البلدة القديمة بالغ الخطورة و بحاجة لحلول سريعة و جذرية .

رابعا: النظام المؤسساتي في البلدة القديمة

حتى وقت قريب خلت البلدة القديمة من المؤسسات و المراكز و الجمعيات التي من شأنها الرقي بالوضع الاجتماعي و النهوض به , الا ان وجود لجنة اعمار البلدة القديمة في وسط البلدة قد اسهم و بشكل ملاحظ في تطوير الوضع العام في البلدة القديمة و قد كان للأكاديمية الاسبانية مساهمة فاعلة في النواحي الاجتماعية تحديدا حيث تقدم الاكاديمية خدمات التدريب المهني, التعليم البسيط, رفع الوعي في شتى المجالات, المحاضرات الارشادية و بعض النشاطات الترفيهية. وبأيعاز من السلطة الفلسطينية تم فتح عدد من المكاتب الحكومية التابعة لعدد من الوزارات الهامة مثل مكتب وزارة الخارجية, مكتب وزارة الداخلية , مكتب وزارة الاوقاف و وزارات أخرى ، وبالنسبة للخدمات الصحية فلا يوجد عيادات طبية تخصصية او مراكز طبية على درجة من التجهيزات و الخدمات العالية.

٣.٣ تحليل الوضع الاقتصادي

ان النسبة الاكبر من اهالي البلدة القديمة من الطبقات ذات الوضع الاقتصادي السيء و من ذوي الدخل المحدود والمحدود جدا و يرجع ذلك لعدد من الاسباب تتباين من اسرة لاخرى و لكنها لا تخرج عن الامور التالية مثل تدني الوضع التعليمي, عدم تحديد النسل و بالتالي كبر عدد افراد الاسرة, الجهل و قلة الوعي.

يمكن تحليل الوضع الاقتصادي بدراسة النواحي التالية:

اولا: المحال التجارية

معظم سكان البلدة القديمة إما أصحاب محال تجارية أومستأجرين لها يعتاشون على ما تدره عليهم من دخل , لكن بسبب ظروف الاحتلال و اغلاق البلدة الفديمة أصبحت هذه المحال لا تعمل و تبقى مغلقة معظم ايام السنة لاحظ الصورة رقم (٢٥)، علما بأن لجنة إعمار الخليل والعديد من المؤسسات المحلية حاولت جاهدةً العمل على تشجيع التسوق في هذه المنطقة بالذات، الا أن الخوف من المستوطنين وجيش الاحتلال حال دون ذلك.

صورة (٢٥): المحلات التجارية المغلقة في البلدة القديمة

ان اغلاق المحال التجارية اثر و بشكل سلبي على سكان البلدة حيث اصبح اصحاب هذه المحال عاطلون عن العمل. أضف الى ذلك أن نسبة من أهل البلدة القديمة يعملون كعمال في مصانع أو محاجر براتب يومي زهيد.

ثانيا: السياحة

السياحة في البلدة القديمة ضعيفة و ذلك بسبب الاحتلال, الا ان هناك جهود جبارة تقوم بها لجنة الاعمار تحاول من خلالها المحافظ على الطابع التقليدي للبلدة وجذب السياح للبلدة بعدة طرق منها فتح المحال التراثية, دعم البضاعة وتزويد المشترين بالكوبونات المجانية في بعض الأحيان, ترميم البلدة وانشاء الحدائق. و لا شك بأن انتعاش السياحة يؤثر بشكل مباشر على الوضع الاقتصادي.

ثالثا: مساهمة لجنة الاعمار في انعاش الوضع الاقتصادي

تقوم لجنة الاعمار بدفع رسوم الكهرباء والماء عن اهالي البلدة وتعفيهم من اجارالبيوت ايضا بالاضافة الى ذلك فهي تزود الاهالي بصندوق شهري يحوي مواد تموينية من ارز, سكر, طحين, شاي, معلبات بالاضافة الى مواد اخرى.

٤- حلول مستقبلية

مما لا شك فيه أن تحليل البلدة القديمة بيئيا , اجتماعيا و اقتصاديا قد وضع المحلل أمام عدد من المشاكل التي تتراوح خطورتها بين المتوسطة و الخطيرة.

إن المطلع على الوضع العام لهذه الأماكن لا يساوره ريب في ضرورة الاسراع بايجاد حلول للحد من المشاكل و ما يترتب عليها من آثار تنعكس على ساكني المنطقه و في بعض الاحيان تتعدى ساكني تلك المنطقة الى المناطق المجاورة.

ان الخطوة الاولى في الحل تبدأ برفع الوعي في المحاور البيئية, الاجتماعية و الاقتصادية و هذا يعني بناء ثقافة جديدة في جميع المحاور المذكورة و يتطلب هذا أعمال كبيرة و جهود متظافرة من قبل المؤسسات الوطنية و الاجنبية و نحن كباحثسن نرى ان يبدأ العمل برفع الوعي من خلال عمل ورشات عمل لسكان البلدة القديمة عمل محاضرات في مدارس البلدة القديمة , عمل دورات و فعاليات لبناء ثقافة واعية.

فيما يلي سرد للمشاكل التي تعانيها المنطقه من الأكثر خطورة الى الأقل:

أولا:المشاكل في شبكة تصريف المياه العادمة و مياه الامطار

ان مشكلة فيضان الشبكة في فصل الشتاء تعتبر الاكثر خطورة و هذا يعني ضرورة الاسراع في ايجاد حل سريع و آمن لهذه المشكله و نحن كباحثسن نرى أن حل هذه المشكله يكون باتخاذ الخطوات التالية:

١- تصميم و اعادة بناء شبكتي تصريف الأولى لتصريف المياه العادمة و ابقاء اعتمادها على القنوات الرومانية و الثانية شبكة تصريف مياه امطار مستقله عن الشبكة الاولى و بناءها بانابيب جديدة و مداخل جديدة وبذلك نتفادى حدوث فيضان للشبكة في ايام الشتاء و ان حدث سيحدث فيضان لمياه امطار فقط و التي تعتبر مياه نظيفة نسبيا اي انها لن تسبب مكره صحية و لن تشكل خطورة على صحة المواطنين.

٢- ضرورة عمل صيانه دورية للمناهل و المداخل من قبل البلدية تحديدا نهاية فصل الصيف و قبل الشتاء و بداية الامطار كي تكون عملية التصريف امنة و فعاله.

٣- ضرورة التنسيق لفتح البوابه الحديدية السابق ذكرها و ان لم يتمكن فتحها فمن المهم عمل فتحات للتصريف فيه او من تحتها كي يتم تدفق مياه الامطار بشكل آمن.

ثانيا: المشاكل الاجتماعية من تسرب من المدارس, زواج مبكر, تفشي المخدرات و عمالة الأطفال.

ان حل هذه المشاكل يتمثل بما يلي:

١- رفع الوعي الثقافي لدى الفئات العمرية المختلفة

٢- توفير منح تحفيزية لطلبة المدارس و الجامعات من ساكني البلدة القديمة.

٣- اتخاذ اجراءات رادعة بحق بائعي و مستخدمي المخدرات.

٤- توفير فرص عمل لارباب البيوت لتأمين دخل كافي يغني الاسرة عن عمالة الاطفال.

ثالثا: المشاكل الإقتصادية.

تعتبر المشاكل الاقتصادية حجر عثرة في وجه كل من يحاول تطوير البلدة القديمة و ذلك لان الجانب المادي هو عمود و ركيزة اساسية لتطوير اي مكان, نحن كباحثسن نرى ان المشاكل الاقتصادية يمكن حلها بالخطوات التالية:

١- عمل سوق مركزي تتبناه واحدة من المؤسسات المحلية مثل البلدية و يضم هذا السوق كل ما تحتاجه الاسر من مواد تموينية , تنظيفية , خضار , فواكه و بأسعار مخفضة و هذا المشروع سيعود بفوائد اقتصادية على سكان البلدة القديمة حيث يتم تشغيل عدد منهم فيه كما انه يخلق حركة تجارية لا بأس بها في البلدة.

٢- عمل مهرجانات تسوق , لعب في المناسبات المختلفة مثل عمل مهرجانات تسوق لمنتجات العنب او الزيتون او غيرها حسب الوسم , عمل مهرجانات لعب للاطفال ايام الاعياد و العطل.

٥- النتائج و التوصيات

١- الوضع البيئي في البلدة القديمة سيئ و بحاجة الى مضاعفة الجهود الرسمية و المحلية لمعالجة الوضع القائم، إما بدعم لجنة الاعمار وهي الطريقة الأفضل أو عن طريق مؤسسات أخرى تعنى بالمدينة القديمة وسكانها.

٢- يوجد اهتمام كبير من مؤسسات محلية مثل لجنة اعمار الخليل في البلدة القديمة وجهات دولية مثل الجهات المانحة بالنواحي الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية و البيئية في البلدة القديمة، وبالتالي يجب تسويق العشرات من المشاريع داخل هذه المنطقة لدعم أهلنا هناك.

٣- التحدي الذي يواجه البلدة القديمة على مختلف الأصعدة البيئية و الاجتماعية و الاقتصادية هو الحاجة الماسة و الضرورة الملحة لرفع الوعي لدى سكان البلدة .

٤- إنشاء مركز لتطوير الحس البيئي وتطوير بيئة البلدات القجيمة في فلسطين من أجل تطوير فهم المجتمع المحلي لقيمة هذه المراكز التاريخية ، أضف إلى ذلك تطوير برامج مكتوبة (مسموعة ومرئية) مدروسة بدقة لتصل إلى جميع ألإراد المجتمع.

٥- إنشاء صندوق لدعم تعليم ابناء البلدة القديمة.

٦- عمل رحلات تعليمية تثقيفية لطلاب المدارس من مناطق خارج البلدة الى البلدة القديمة و كذلك عمل رحلات تعليمية تثقيفية لطلاب البلدة القديمة إلى الجامعات و المعاهد لتحفيزهم على التعليم .

٧- تطوير المدخل التخطيطي لأحياء وتوظيف الشوارع والقناطر والبنى التحتية الأخرى للمدن القديمة .

٨- المراجع

١) جادرجي ،ر. (١٩٨١) التراث ضرورة البناء الطبعة الثانية العدد الثاني ٢١٢ الرياض .

٢) الدباغ ،م. (١٩٩١) بلادنا فلسطين طبعة جديدة دار الهدى كفر قرع ١٠ أجزاء .

٣) الطوخي ،س.، وهبي ،ج. "٢٠٠٤" أهميه المناطق التاريخية وانعكاساتها على التفاعل الاجتماعي المؤتمر الدولي الأول للحفاظ المعماري بين النظرية والتطبيق ١٤_١٦ مارس ٢٠٠٤ بلديه دبي

٤) عبد الباقي ،أ. "١٩٩٧" تطوير المدينة التاريخية – حالة القاهرة ، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية مصر.
٥) الدويك ،غ. /إحياء مدينة الخليل القديمة – رسالة دكتوراه ١٩٩٧
٦) مجلة البناء : "٢٠١٠" العدد ٢٣٧ المؤتمر الدولي الأول للتراث العمراني بالدول الإسلامية خارطة طريق للحفاظ على التراث العمراني . ٢٣-٢٠١٠/٥/٢٨- الرياض
٧) مجلة البناء / ٢٠١٠ العدد ٢٣٤ م .طارق محمد عبد الفتاح /الحياة البيئية نسيان ٢٠١٠ الرياض .
٨) جميع المعلومات التي ضمت استعمالات وتوضيحات عن العائلات والمحال التجارية والحارات جاءت بناءا على زيارات متكررة للبلدة القديمة.